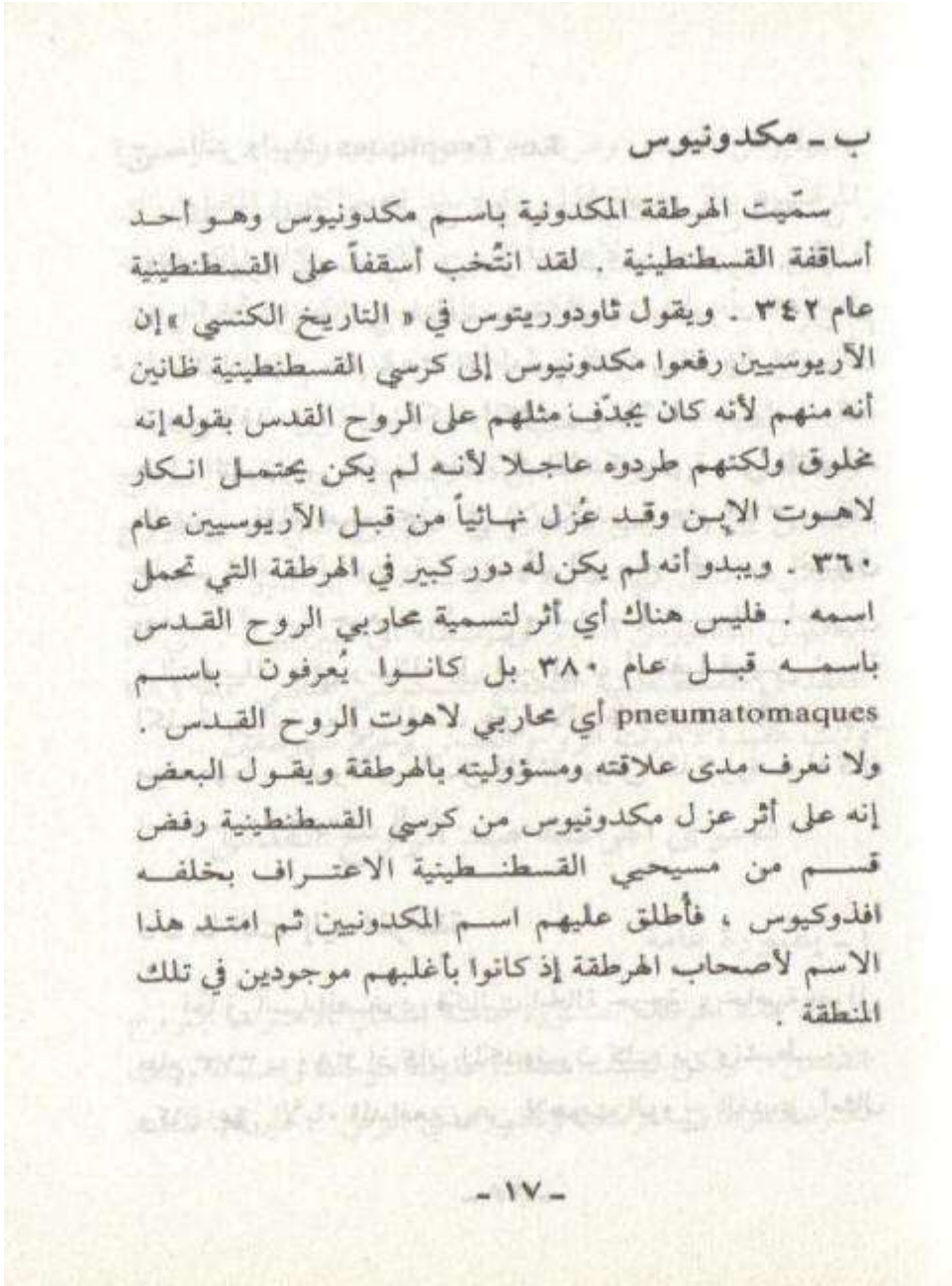


لمحة تاريخية عن أهم الهرطقات ضد الروح القدس

أ - مقدمات الهرطقة

إن دستور الإيمان الذي وضعه المجمع المسكوني الأول المتعقد في نيقية عام ٣٢٥ توقف عند عبارة « وبالروح القدس »، فنتج عن ذلك عدم وضوح تام . لقد كان جميع المسيحيين يستعملون كلمة « ثالوث » كما أن المعمودية كانت تُعطى باسم الأب والابن والروح القدس وكان مفهوم هذه العبارة التساوي بين الأقانيم الثلاثة . لكن كان ينبغي أن يُعلن ذلك بكل وضوح لمنع أي التباس أو انحراف في الموضوع . لم تكن الهرطقات بعد قد تناولت الروح القدس مباشرة . إن هرطقة أريوس التي تنكر ألوهية الابن والتي ظهرت حوالي عام ٣١٨ - ٣٢٣ كانت تتضمن إنكار ألوهية الروح القدس أيضاً . لكنها انصبّت أول الأمر على الابن وحده .

إن الإهتمام بأقنوم الإبن وبحث لاهوت الإبن تفصيلاً
ظهر في الكنيسة منذ القرن الثاني . أما الإهتمام بأقنوم الروح
القدس وبمهمته وعمله فلم يظهر إلا في النصف الأول من
القرن الرابع وذلك بتأثير الحياة النسكية التي انتشرت في
أوائل القرن الرابع . ويبدو أن الهرطقة الأريوسية وتفرعاتها
تناولت موضوع الروح القدس بالاضافة الى الإبن حوالي
عام ٣٥٦ أو بعده بقليل . ومما يلفت النظر أنه كلما كانت
العقيدة الأرثوذكسية المثبتة في مجمع نيقية تسير نحو الغلبة فيما
يتعلق بالإبن كان المعارضون يحاولون تثبيت أنفسهم كما في
معقل دفاعي أخير في عقيدة تتحفظ على الأقل بالنسبة للروح
القدس وتنكر عليه بأكثر أو أقل قوة الطبيعة الإلهية . وكان في
ذلك الحين قد أكد على أزلية الروح القدس وعدم كونه
مخلوقاً كل من غريغوريوس العجائبي واوريجانوس
وإثناسيوس الاسكندري وباسيليوس الكبير . لكنه يبدو أنه
حين انتشرت وقبلت فكرة أقنوم الروح القدس الإلهي
كثيرون اعتبروا من الأسهل اعتبار الروح القدس خليفة
ذات كرامة وسلطان أو كائناً وسطاً لا إلهاً ولا خليفة أو آثروا
السكوت وعدم خوض الموضوع . فهذه الجماعات الثلاث
مثلة غالباً في ما يسمونه « الهرطقة المكدونية » .



ج - التروبيك Les Tropiques

وكانت هناك فئة أخرى تحارب لاهوت الروح القدس . هؤلاء ظهروا في مصر . ويبدو أن حركتهم مصرية محلية . كانوا أولاً من محاربي عقيدة نيقية المتعلقة بلاهوت الابن ثم انفصلوا عنهم عام ٣٥٨ إلا أنهم بقوا ينكرون لاهوت الروح القدس . ولم يكونوا كثيرين ولا ناجحين . وقد عمل اثناسيوس الكبير بطريرك الاسكندرية على القضاء عليهم . فقام بجمع محلي في الاسكندرية عام ٣٦٢ وحكم عليهم محرماً الذين يقولون بأن الروح القدس مخلوق ومقصود عن جوهر المسيح وقد ساءهم اثناسيوس « التروبيك » في رسائله إلى سيرابيون أسقف قويس نسبة لكلمة يونانية تعني اللعب على الالفاظ وتفسير الآيات بغير موضعها . ولولا رسائل اثناسيوس المذكورة ، لما كان اسمهم نفسه وصل إلينا .

د - ما آلت إليه الهرطقة

أما في آسيا الصغرى فكانت الحالة حرجة ، خاصة حوالي عام ٣٧٣ - ٣٨٠ إذ كان المكدونيون كثيرين ونشيطين . وكان على الآباء المدافعين عن لاهوت الروح القدس أمثال

باسيليوس الكبير وغريغوريوس النازينزي أن يتخوضوا الموضوع بكل حيطة إذ لم يكن بعد لدى أكثرية المؤمنين رأي واضح محدد حول لاهوت الروح القدس وكان المكدونيون يحتجون بأنه ليس في الكتاب المقدس آية واحدة تسمي الروح القدس بلفظة إله بدون شرط. وكان الأباطرة البيزنطيون يتدخلون في الأمر بشكل سافر وعنيف ومتناقض. ويعود الفضل الأول في شرح عقيدة الروح القدس إلى القديس باسيليوس الكبير في كتابه « في الروح القدس » الذي كتبه عام ٣٧٥ واستند فيه إلى كثير من حجج القديس اثناسيوس الكبير في رسائله إلى سيرابيون. إلى أن انعقد في القسطنطينية المجمع المسكوني الثاني عام ٣٨١ وثبت عقيدة لاهوت الروح القدس وحرم المهرطقيين.

فحوى المهرطقة ضد الروح القدس

أ - بصورة عامة

إن هذه المهرطقة بصورة عامة إنكار للاهوت الروح القدس. ولكن ليست هنالك عقيدة موحدة واضحة وذلك لكثرة التفرعات المهرطقية وتطورها في الزمن. غير أنها تستند

للى بعض الحجج المشتركة بين الكل . ويمكن القول إن عقيدة التروبيك أوضح من عقيدة المكدونيين التي مرّت في مراحل متناقضة .

ب - التروبيك

يقول التروبيك ان الروح القدس ليس إلهاً كالآب والابن وليس من جوهر وطبيعة الآب والابن وليس شبيهاً بالابن ، لكنه من الكائنات التي أوجدت من العدم . إنه خليقة . هو ملاك بين الملائكة ، وان كان أرفع بدون شك وأكثر كمالاً من بقية الملائكة ، لكنه لا يختلف عنهم إلا في الدرجة ، وهو مثلهم أحد « الأرواح الخادمة » المذكورة في الكتاب المقدس .

ج - المكدونيون

أما المكدونيون فيعتقدون بأن الروح القدس « مشابه » للآب والابن ولكن ليس في جوهرهما وطبيعتهما . انهم يرفضون ادخال الروح القدس في ألوهية الثالوث الأقدس ويؤكدون أن الروح أدنى من الآب والابن في الكرامة وأنه خادم ويطبّق عليه كل ما يقال عن الملائكة القديسين . إن

تعليم المكذوبين متردد وغامض ومتناقض : فالروح لا يُدعى رباً ولا يُمجد مع الأب وليس هو قوة الله لأنه لا يخلق ولا يعطي الحياة وهو خادم مثل الملائكة ، ومع ذلك فلا يُعتبر ملاكاً ، ولا خليفة من أي نوع ، وليس هو « غير شبيه » بالأب والابن . وقد قال افستاثيوس أحدهم : « لا أسمى الروح القدس باسم الله ولا أجرؤ على تسميته خليفة » . يستند المكذوبيون في هرطقتهم على عبارة المعمودية التي جاء فيها ترتيب الروح القدس ثالثاً ، بعد الأب والابن . . . وعلى أن الابن هو الحبيب الوحيد للأب وعلى سكوت الكتاب المقدس عن ألوهية الروح القدس .

د - النصوص المشتركة

أما الآيات المشتركة التي يحتج بها التروبيك والمكذوبيون فهي الآتية :

« عاموس ٤ : ١٣ : « فإنه هوذا الذي صنع الجبال وخلق « الروح » وأخبر الإنسان ما هو فكره ، الذي جعل الفجر ظلاماً ويمشي على مشارف الأرض ، يهوه إله الجنود اسمه » .

* تيموثاوس الأولى ٥ : ٢١ : « أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئاً بمحابة » .

* زكريا ١ : ٩ و ١ : ٧ : « وكانت كلمة الرب إلى زكريا . . . فقلت يا سيدي ما هؤلاء ، فقال لي الملاك الذي كلمني أنا أريك ما هؤلاء » (أو زكريا ٤ : ٥ - ٦ ، وهي بالمعنى نفسه) .

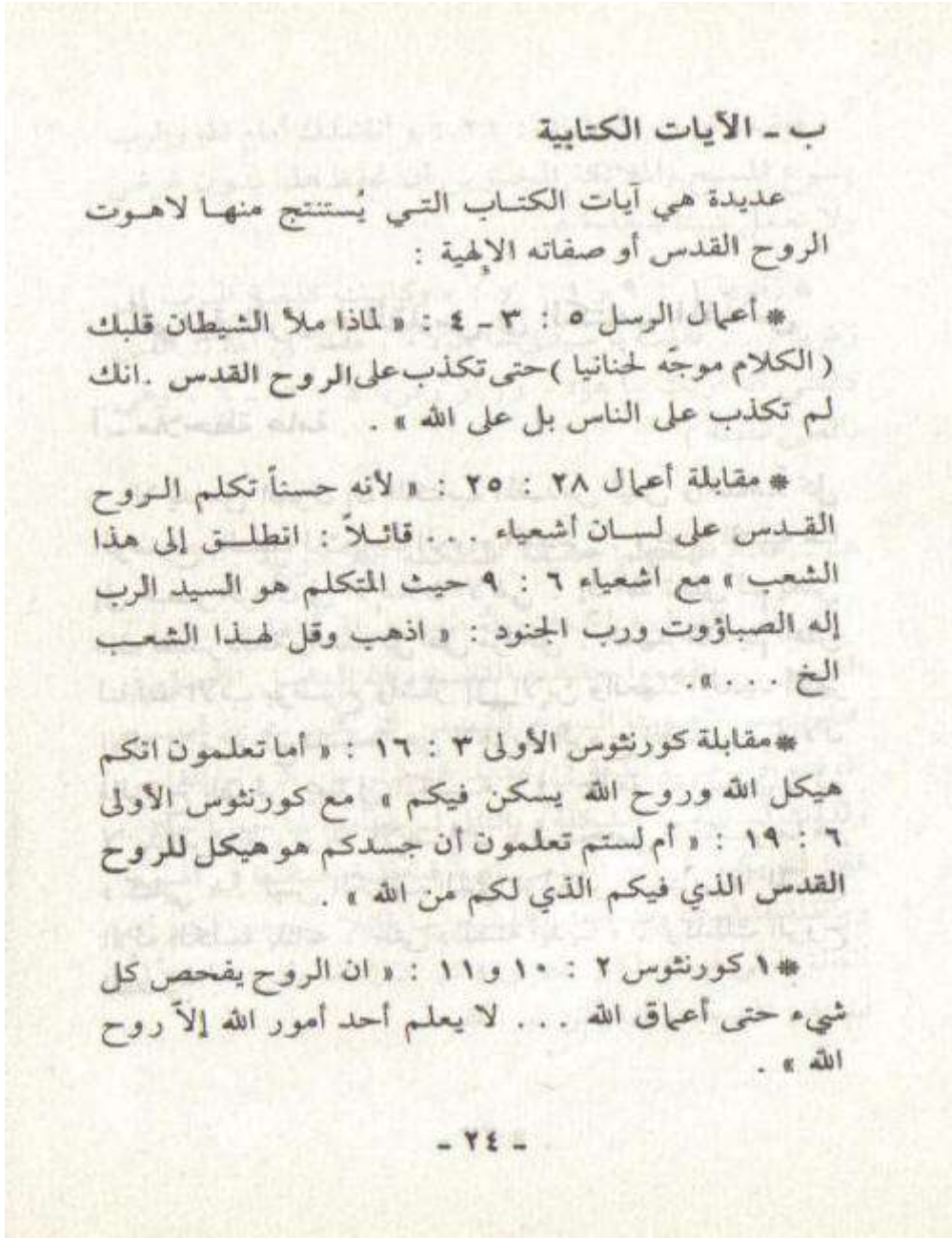
هـ - عدم فهمهم حقيقة المشكلة اللاهوتية

* ويمكن القول هنا كملاحظة عامة ان المراطقة ضد الروح القدس لم يتفهموا حقيقة القضية وان العامل الأصلي في محاربتهم لاهوت الروح القدس لم يكن سوى تجنب الوضوح وتجنب الدقة في تحديد التعليم عن الروح القدس ولذلك لم يجابهوا المشكلة وبالتالي لم يقدموا لها جواباً حقاً . فإذا لم يكن الروح القدس إلهاً فباطلة حياتنا في المسيح وباطلة قداستنا وقد وعدنا المسيح بها قائلاً : « خير لكم أن أنطلق لكي أرسل لكم المعزي » كما ان إيماننا يكون باطلاً لو لم يقم المسيح أو لم يكن ابن الله .

ألوهية الروح القدس في الكتاب المقدس

أ - ملاحظة عامة

لا بد من القول إن الكتاب المقدس ليس واضحاً كل الوضوح بالنسبة للاهوت الروح القدس . ويجدر التنبيه هنا إلى عنصر الزمان في الإعلان الإلهي . إن الله تعالى لم يعلن ذاته للبشر دفعة واحدة بل على مراحل . العهد القديم أعلن لنا الله الأب بوضوح وأشار إلى الابن والعهد الجديد أظهر الإله الابن وتلميحاً عن لاهوت الروح القدس . والآن فالروح القدس يحيا في الكنيسة ، في جماعة القديسين . ثم لا بد من القول إن الإعلان « شخصي » أكثر ما هو « كتابي » . ليس الكتاب الذي نزل من السماء إنما المسيح الإله الكلمة بذاته ، حتى « لمستهُ أيدينا » ، وكذلك الروح القدس .



ويوحنا ١٦ : ١٣ : « وأمامي جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق » . فالروح القدس عالم بكل شيء .

* مزمور ٣٣ : ٦ : « بكلمة الرب تشددت السماوات وبروح فيه كل قواتها » . فالروح القدس قادر على كل شيء .

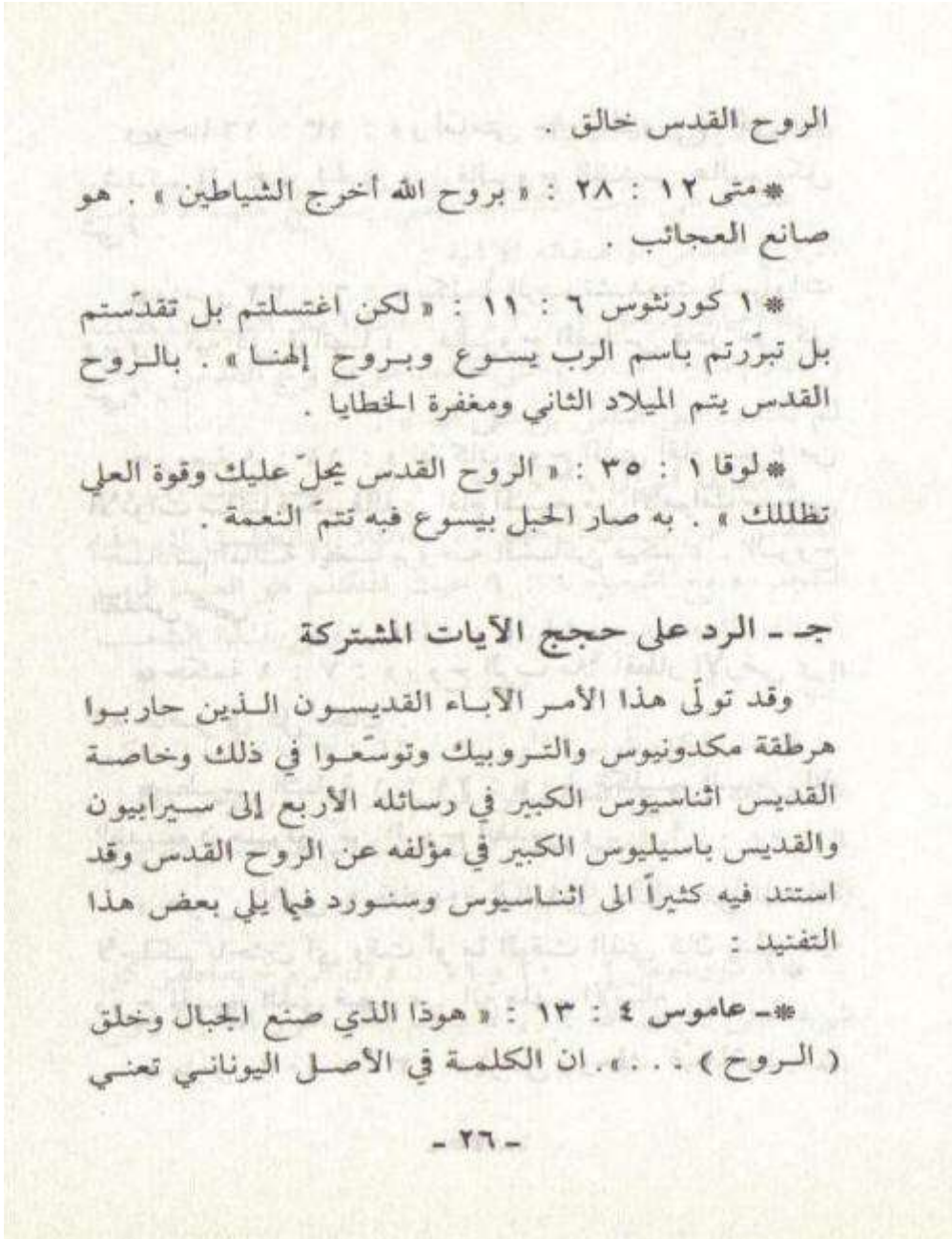
* رومية ٨ : ١١ : « ان كان روح الذي اقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي اقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم » . الروح القدس محيي .

* حكمة ١ : ٧ : « روح الرب ملاً أقطار الأرض » . انه حاضر في كل مكان .

* بطرس الثانية ١ : ٢١ : « بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » .

وبطرس الأولى ١ : ١١ : « الذين تنبأوا عن النعمة لأجلكم باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم » . انه ملهم الأنبياء .

* مزمور ١٠٣ : ٣٠ : « ترسل روحك فيخلقون » .



« روح » أو « ریح » بحسب معنى الجملة . فيجيب
 اثناسيوس ان الروح القدس لا يسمّى في الكتاب « روح »
 فقط بل روح الله أو روح الأب أو روح المسيح أو
 روحي أو من قبلي (أي معطى من قبلي) أو من الابن
 أو الروح القدس ، أو المعزّي ، روح الحق . . . وفي
 الآيات التي ورد فيها « الروح » على حدة فإنه يعنى به بكل
 وضوح وبدون أي مجال للإلتباس ، الروح القدس .
 مثلاً غلاطية ٣ : ٢ : « أريد أن أتعلّم منكم هذا فقط
 بأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان » .
 وتسالونيكي الأولى ٥ : ١٩ : « لا تطفثوا الروح » . ولوقا
 ٤ : ١ : « أمّا يسوع فرجع من الأردن ممثلاً من الروح
 القدس وكان يقتاد بالروح في البرية » . ومتى ٤ : ١ :
 « ثمّ أضعّد يسوع إلى البرية من الروح ليجرّب من
 إبليس » .

أمّا الآيات التي ذكر فيها الروح القدس بشكل صريح
 فيعدد اثناسيوس منها ٥٣ آية : تكوين ١ : ٢ « وكان
 روح الله يرف على المياه » . قضاة ٣ : ١٠ « فكان عليه
 روح الرب وقضى لإسرائيل (عثنيئيل) » . مزمور ٥٠ : ١٣
 « وروحك القدوس لا تنزعه مني » . يوثيل ٢ : ٢٨

« ويكون بعد ذلك اني أسكب من روحي على كل بشر » .
 لوقا ٣ : ٢٢ « ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل
 حمامة » . متى ١٠ : ٢٠ « لأن لستم أنتم المتكلمين بل
 روح أبيكم الذي يتكلم فيكم » . يوحنا ١٥ : ٢٦ :
 « ومتى جاء المعزي الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح
 الحق الذي من عند الأب ينبثق » الخ . . .

هذا وقد وردت أيضاً في الكتاب المقدس كلمة روح
 بمعنى آخر واضح كل الوضوح : كورنثوس الأولى ٢ :
 ١١ : « لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح
 الإنسان الذي فيه » . وكورنثوس الثانية ٣ : ٦ :
 « الحرف يميت أما الروح فيحيي » . وتسالونكي الأولى
 ٥ : ٢٣ : « ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا
 لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح » .

ويتكلم الكتاب أيضاً عن « الروح » بمعنى ريح
 ورياح : « وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه »
 (تكوين ٨ : ١) . « فأرسل الرب ريحاً شديدة إلى البحر
 فحدث توء عظيم في البحر حتى كادت السفينة تنكسر »
 (يونا ١ : ٤) . و « أمر فأهاج ريحاً عاصفة فرفعت

أمواجه» (مزبور ١٠٧ : ٢٥) الخ
ويستنتج اثناسيوس الكبير من كل ذلك أن كلمة
«روح» أو ريح اليونانية يجب أن تفهم في عاموس ٤ : ١٧
كما هي أي «ريح» و«خلق الريح» هذا وان هذه
الآية لا تبرهن شيئاً كثيراً بالنسبة للمكدونيين إذ أنهم لا
يعتبرون الروح القدس «مخلوقاً»

* تيموثاوس الأولى ٥ : ٢١

«أنشذك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة
المختارين» . يستنتج التروبيك من هذه الآية أن
الروح القدس يحسب بين الملائكة ، أما المكدونيون
فيوردونها بغية الإضعاف من قيمة آية متى ٢٨ : ١٩ مثلا :
«وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس» بحجة أن
الملائكة أيضاً ، مثل الروح القدس ، يأتي ذكرهم مع الله
(ولكن المكدونيين لا يعلقون كبير الأهمية على هذه
الحجة) . ويجيب اثناسيوس عليهم : أين سمّي الروح
القدس في الكتاب المقدس ملاكاً ؟ مع أن له تسميات
عديدة متنوعة . وهو لم يسمّ لا ملاكاً ولا رئيس ملائكة ولا
شاروبيم ولا ساروفيم الخ
ثم لما عرض الله على موسى إخراج إسرائيل من أرض

مصر قائلاً : « أنا أرسل أمامك ملاكاً . . . » (خروج ٣٣ : ٢) ، رفض موسى إذ كان يعرف أن الملائكة خلائق أمّا الروح القدس فمتحد مع الله وأجاب : « ان لم يسر روحك فلا تصعدنا من ههنا » (خروج ٣٣ : ١٥) . وكان يخشى أن يتعلق الشعب بالملاك ويخدم خليقة دون الخالق ، فاستجاب الله لطلب موسى قائلاً : « هذا الأمر أيضاً الذي تكلمت عنه أفعله لأنك وجدت نعمة في عيني » (خروج ٣٣ : ١٧) . وكان أن حقق الله وعده وسير روحه أي سار نفسه مع شعبه كما يتضح من الكتاب : « ثم ذكر الأيام القديمة موسى وشعبه ، أين الذي أصعدهم من البحر مع راعي غنمه ، أين الذي جعل في وسطهم روح قدسه الذي سير ليمين موسى ذراع مجده ، الذي شق المياه قدامهم . . . الذي سيرهم في اللجج . . . روح الرب أراحهم . هكذا قدت شعبك لتصنع لنفسك اسم مجد » (أشعيا ٦٣ : ١١ - ١٢) . وأيضاً : « اني أنا الرب الذي أصعدكم من أرض مصر » (لاويين ١١ : ٤٥) . « الرب إلهكم السائر امامكم في نار ليلاً ليرىكم الطريق التي تسرون فيها وفي سحاب نهاراً » (تثنية الاشتراع ١ : ٣٠ و ٣٣) .

ويتابع القديس اثناسيوس : أمّا لماذا ذكر بولس الرسول

الملائكة بعد المسيح ولم يذكر الروح القدس ، فهذه حجة واهية إذ لا نستطيع أن نفرض على الرسول صيغة معينة ، ولماذا لم يذكر رؤساء الملائكة أو الشاروييم مثلاً ؟ أيعني ذلك شيئاً ؟ ويطيل اثناسيوس الشرح هنا . هذا وقد ورد أحياناً في الكتاب ذكر الرب وروحه دون ذكر المسيح معهما : « والآن السيد الرب أرسلني وروحه » ، (أشعياء ٤٨ : ١٦) و « فالآن تشدد يا زربابل يقول الرب . . . واعلموا فإنني معكم يقول رب الجنود . . . وروحي قائم في وسطكم لا تخافوا » (حجي ٢ : ٤ - ٥) . فهل يعني ذلك أن المسيح غير موجود أو أنه لا يُعدّ مع الأب والروح ؟ ثم جاء في لوقا ١٨ : ٢ : « كان في مدينة قاض لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً . . . » وجاء في خروج ١٤ : ٣١ : « فخاف الشعب الرب و آمنوا بالرب وبعبدته موسى » . فهل نعدّ موسى مع الرب أو نحسبه بعد الأب لا الابن بعد الأب ؟ وأضاف باسيليوس على جواب اثناسيوس أن يولس يدعو الملائكة كشهود لأعمال تيموثاوس أمام الرب وأن دعوة عبد للشهادة أمام قاضٍ ، لا سيما إذا كان قاضياً رحيماً مثل الله ، لا تجعل من العبد حراً ، وان الكتاب لا يسمي الروح القدس مثل الملائكة بل يذكره كرب للحياة بينما يذكر الملائكة كرفقة عبيد وشهود آمينين للحق .

* زكريا ١ : ٩ أو ٤ : ٥ - ٦ *

« فقال لي الملاك الذي كلمني » . ويستند المكدونيون إلى هذه الآية ليؤكدوا على أن الملاك يسلم رسالة إلهية قاصدين بذلك تعطيل الحجة التي بموجبها نستنتج الوهية الروح القدس من كونه ملهماً للأنبياء أو موحياً بالنبوءات . وأما التروبيك فيقصدون أن يبرهنوا أن الملائكة كالروح القدس يمكن القول عنهم انهم يسكنون في المؤمنين (كلمني أو تكلم في . . .) .

فكتب القديس اثناسيوس حول هذه الآية باختصار قائلاً أن مجرد قراءة الآية بانتباه تدل على أن الملاك الذي يتكلم مع زكريا ليس الروح القدس : « فأجاب الملاك الذي كلمني وقال لي ألا تعلم ما هذه (وكان زكريا رأى منارة كلها ذهب) فقلت لا يا سيدي فأجاب وكلمني قائلاً هذه كلمة الرب إلى زربابل قائلاً لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود . . . » . فمن الواضح أن الملاك المتكلم لم يكن الروح القدس ولا شبيهاً بالروح القدس إنما هو مجرد رسول يوصل كلمة الرب إلى زكريا كخادم للرب في حين أن الروح القدس هو روح رب الجنود ولا يتفصل عن لاهوته والذي يخدمه الملاك .

ويبدو أن اثناسيوس أو باسيليوس لم يجدا ضرورة للرد على هذه الحجة بأكثر من ذلك ، وتظهر فيها محاولة الهراطقة تفسير الآيات بأكثر مما تتضمن ، كما تعني أساساً كلمة « تروبيك » اليونانية التي نعتهم بها القديس اثناسيوس .

د - التوسع في صفات الروح القدس الإلهية بموجب الكتاب المقدس

لقد توسع الآباء القديسون الذين دافعوا عن لاهوت الروح القدس في صفاته الإلهية كما تُستنتج من آيات الكتاب المقدس ويمكن إيراد بعض نقاط هذا التوسع فيما يلي :

✦ أكد القديس اثناسيوس على وحدة الثالوث الأقدس الظاهرة في الكتاب المقدس ، فالكتاب ينسب الأعمال الإلهية أو الصفات الإلهية إلى الأب أو إلى الابن أو إلى الروح القدس في مواضع مختلفة دون أي تمييز بين الأقانيم الثلاثة - فنرى مثلاً أنه ينسب : « النور » و « ينبوع » و « المياه الحية » و « الحكمة » والسكنى فينا والحياة وعملية الإحياء وغيرها إلى الأب والابن والروح القدس كما يتضح من مراجعة الآيات التالية : ارميا ٢ : ١٣ ، باروخ ٣ : ١٠ و ١٢ ، يوحنا الأولى ١ : ٥ ، مزمور ٦٤ : ١٠ ،

عبرانيين ١ : ٣ ، افسس ١ : ١٧ ، يوحنا ١ : ٩ ،
 كورنثوس الأولى ١٢ : ١٣ و ١٠ : ٤ ، رومية ٨ : ١٥ ،
 يوحنا ١ : ١٢ ، رومية ١٦ : ٢٧ ، كورنثوس الأولى ١ :
 ٢٤ الخ . . .

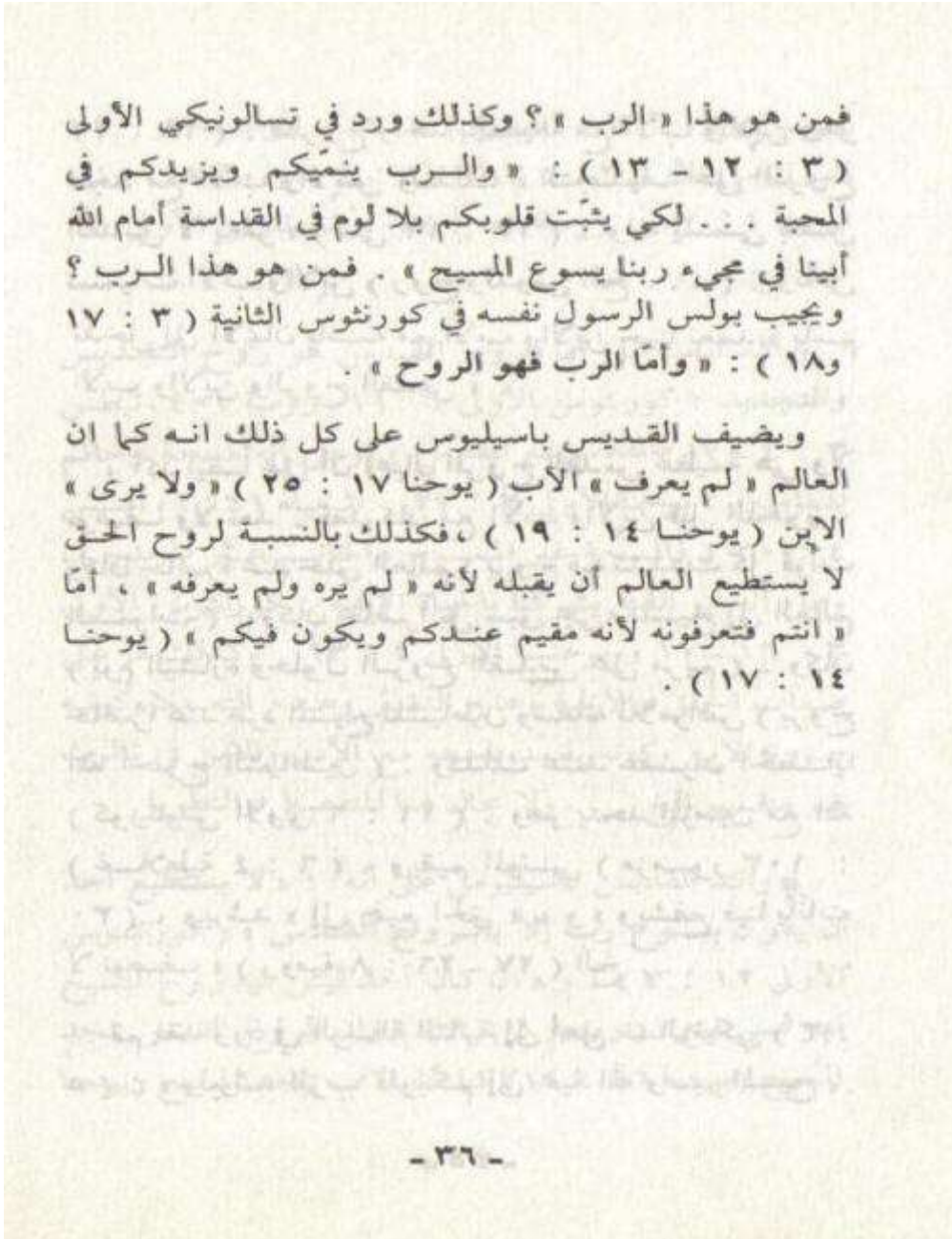
و أكد أيضاً على أن الروح القدس هو روح التقديس
 والتجديد : كورنثوس الأولى ٦ : ١١ ، رومية ١ : ٤ ، تيطس
 ٣ : ٤ - ٧ (فالقدس غير المقدس) ، وعلى أنه مسحة وخاتم
 للمؤمنين : يوحنا الأولى ٢ : ٢٧ ، أشعيا ٦١ : ١ ، افسس
 ٤ : ٣٠ (فالمسحة غير الممسوح والخاتم غير المختوم) ،
 وعلى أنه هو الذي يشركنا بالحياة الإلهية : كورنثوس الأولى
 ٣ : ١٦ - ١٧ و يوحنا الأولى ٤ : ١٣ . وكذلك مر على
 صفات الخلق والأزلية وعدم التغير وعدم التعدد وكونه
 صورة الابن وكونه يعمد باسمه مع الأب والابن في ثالوث
 غير منقسم الخ . . . ولا مجال هنا للتفصيل والتطويل .

* وأكد القديس باسيليوس على أنه : « لا يستطيع أحد
 أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس » (كورنثوس
 الأولى ١٢ : ٣) ، و « ان كان أحد ليس فيه روح المسيح
 فهو ليس منه » (رومية ٨ : ٩) ، وان الروح القدس يمجّد
 المسيح (يوحنا ١٦ : ١٤) كما أن الأب يمجّد المسيح (يوحنا

١٢ : ٢٨) . فالروح واحد بالطبيعة مع الآب والابن وهو
 معجد مع الآب والابن ولذلك « التجديف على الروح
 القدس لا يُغفر » (متى ١٢ : ١٣) . وانه يسمّى بنفس
 تسميات الآب والابن (روح و قدوس الخ . . .) . ونحن
 ندخل إلى الإيمان باسمه مع الآب والابن حيناً نعمد « باسم
 الآب والابن والروح القدس » .

و أكد أيضاً على أن أعمال الروح القدس عظيمة هي ولا
 توصف ولا تُعد . فقد كان مع الآب والابن قبل الدهور ،
 وكان حاضراً عند خلق العالم (بروح فيه تشددت كل قوات
 السموات) . وكان حاضراً بل سبق مجيء المسيح إلى العالم
 (يوم البشارة وحلول الروح القدس على مريم) . وكان
 حاضراً عند طرد المسيح للشياطين وشفائه للأمراض (بروح
 الله أخرج الشياطين) . وكذلك عند غفران الخطايا
 (كورنثوس الأولى ٦ : ١١) . وهو يتحد المؤمنين مع الله
 (غلاطية ٤ : ٦) ، و يقيم الموتى (مزمور ١٠٣ :
 ٣٠) ، ويرشد « إلى جميع الحق » ، و « ويشفع فينا بأثبات
 لا توصف » (رومية ٨ : ٢٦ - ٢٧) الخ . . .

ثم فقد ورد في الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي (٣ :
 ٥) : « وليرشد الرب قلوبكم إلى محبة الله وصبر المسيح » .



ألوهية الروح القدس في التقليد الكنسي

لا مجال لتبيان أهمية التقليد الكنسي وكيف أنه حياة الكنيسة عبر الزمان وهو يحمل في تياره كل غنى الكنيسة الروحي ويغذي المؤمنين . وهو يشمل التعليم الشفهي وتعاليم الآباء والقديسين ويمكن القول بنوع ما انه يشمل الكتاب المقدس نفسه .

فهذا التقليد الكنسي يثبت ألوهية الروح القدس باستمرار منذ البدء ، ولم يجد بالرغم من المهرطقات ، عن هذه العقيدة المرتبطة كل الارتباط بعقيدة الثالوث الأقدس . ويظهر هذا الإستمرار في تعليم الشهداء والقديسين الأولين والآباء والأساقفة كما يظهر في العادات والطقوس المسيحية الممارسة منذ البدء وفي المعتقدات المكتوبة وغير المكتوبة التي تناقلها المسيحيون دون انقطاع .

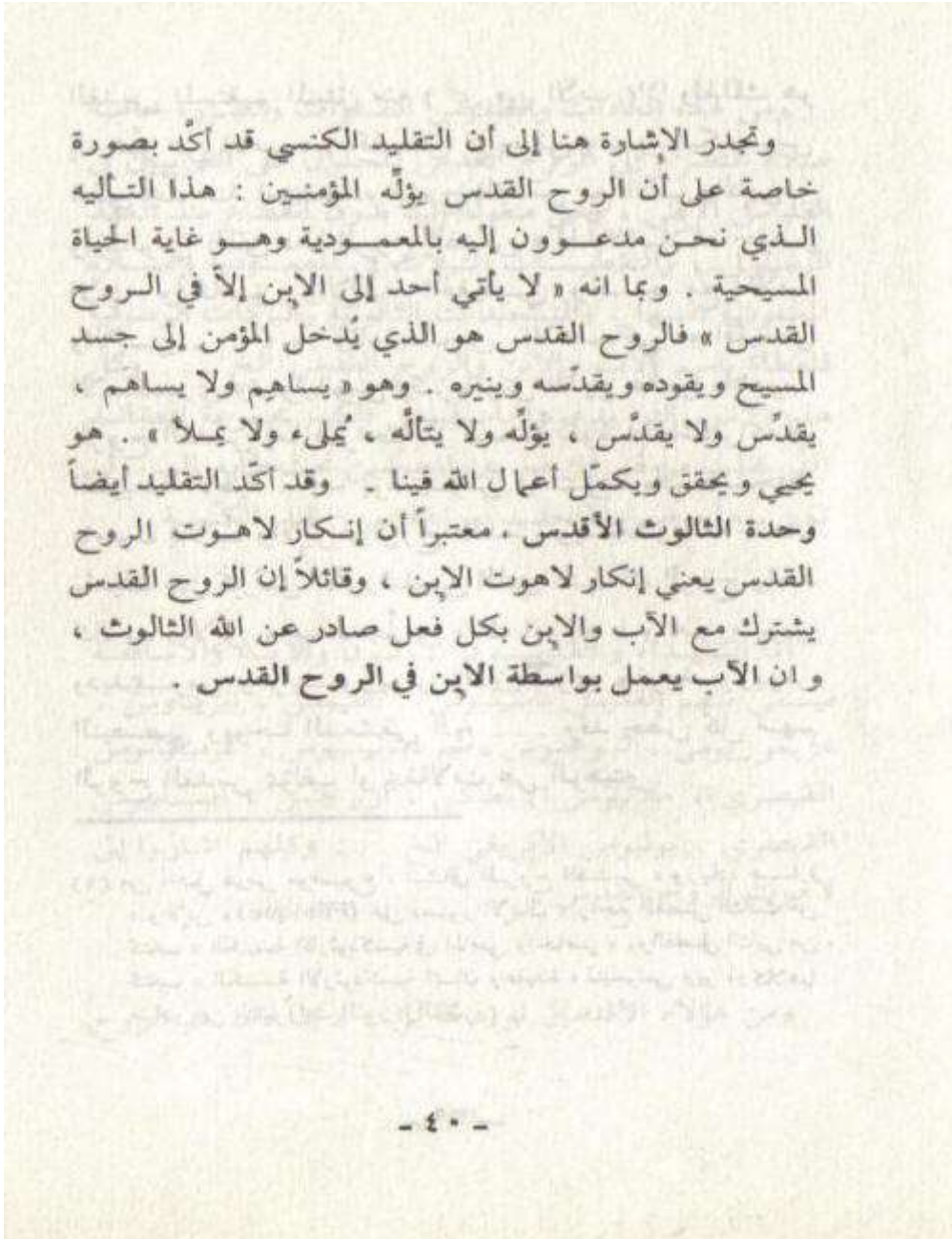
ومن هذه العادات والطقوس الصلوات وبصورة خاصة صلاة التضرع إلى الروح القدس للحلول على القرايين في القداس الإلهي ، وهي منقولة إلينا بدون انقطاع منذ العهد الرسولي ، والتغطيسات الثلاث في المعمودية وصلاة المعمودية نفسها ، والتمجيدات الثلاثية والبركات الرسولية المعطاة باسم الأب والابن والروح القدس الخ . . . وكل هذه الأمور التي يدعوها باسيليوس الكبير مجموعة العقائد التي نقلت من قم إلى قم بين المعمدين تحت طابع السر ولم تكن يوماً موضوعاً لتحديد أو إعلان من قبل الكنيسة .

أما الشهداء والقديسون الأولون والآباء والأساقفة فيسمى منهم القديس باسيليوس اقليمس ، إيريناوس ، غريغوريوس ، أثينوجنوس ، ثم ديونيسيوس ، فرميليانوس القيصري ، ملاتيوس الانطاكي ، أوريجنس ، افسايبوس القيصري ، يوليوس الأفريقي الخ . . . وكلهم اشاروا إلى لاهوت الروح القدس .

ومن هؤلاء الأقدمين نورد ما يلي : « إذا ذاك هو الروح

القدس المستقيم المنبثق منه (أي من الآب)^(١) ولذلك هو إله مميز عن الآب « (اقليمس الروماني) ، وبوليكاربوس الذي مجد عند استشهاده الروح القدس مع الآب والابن ، وناتياتوس الذي دعا الروح القدس « إلهاً كاملاً له جوهر الآب والخالق والإله الحقيقي وحده مع الآب والابن . . . » ، وثاوفيلوس الانطاكي ، واقليمس الاسكندري وثرثوليانوس وكيريانوس الذين علموا بلاهوت الروح القدس إما صراحة أو ضمناً بقولهم باشتراكه في الطبيعة الإلهية . أما يوستينوس فيعترف بأن المسيحيين يؤمنون بالآب والابن والروح القدس ويسجدون له . هذا ناهيك عن كيرلس الأورشليمي الذي كتب أن الروح واحد كالآب والابن ، مستتجاً من ذلك انه إله ، وامبروسيوس وديديموس وغريغوريوس النازينزي وغريغوريوس النيصي ويوحنا الدمشقي الخ . . . وقد خض كل منهم الروح القدس بمؤلف أو بمقالات عن الوهيته .

(١) من أجل درس موضوع « انشقاق الروح القدس » وزيادة عبارة « والابن » (Filioque) على دستور الإيمان ، راجع الفصل الثالث من كتاب « الكنيسة الأرثوذكسية في الماضي والحاضر » ، والفصل الثاني من كتاب « الكنيسة الأرثوذكسية إيمان وعقيدة » لثيموني وير ، وكلاهما صادر عن منشورات النور (الناشر) .



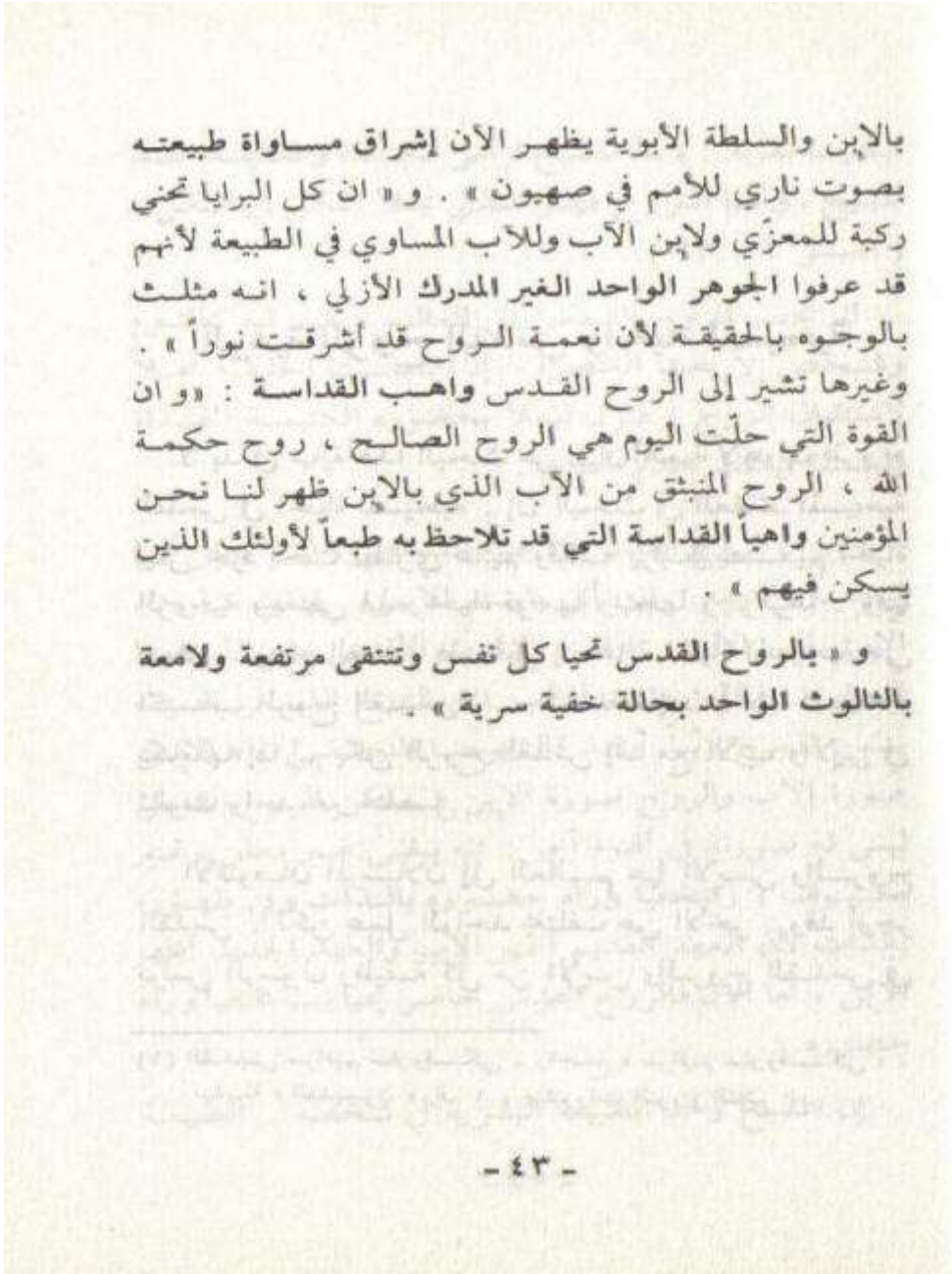
ألوهية الروح القدس في الليتورجيا

الليتورجيا من التقليد ، وقد حفظت لنا عقيدة الكنيسة عن لاهوت الروح القدس في الخدم والصلوات والتراتيل المختلفة المتعددة وهي أكثر من أن تحصى . ويكفي أن نذكر صلاة « أيها الملك السماوي المعزي روح الحق الحاضر في كل مكان والماليء الكل . . . »^(١) التي نفتح بها النهار ومعظم الصلوات ، ثم أناشيد العنصرة الغنية بلاهوت الروح القدس غنى غزيراً متدفقاً ، ومنها : « إن الروح القدس كان دائماً ويكون وسيكون لأن ليس له ابتداء ولا له بالكلية انتهاء ، لكنه لم يزل منتظماً مع الأب والابن معدوداً حياة ومحياً ، نوراً ومانحاً للضياء ، صالحاً بالطبع وللصلاح ينبوع ، به يُعرف الأب ويُمجَّد الابن ويُفهم من الكل . إن قوة واحدة ورتبة واحدة وسجدة واحدة للثالوث

(١) راجعها في آخر مقدمة الكتاب (الناشر) .

المقدس . و « ان الروح القدس نور و حياة وينبوع حي
عقلي ، روح حكمة ، روح فهم ، صالح ، مستقيم ،
عقلي ، رئاسي ، مطهر للهفوات ، إله ومؤله ، نار من نار
بارزة ، متكلم ، فاعل ، مقسم للمواهب ، الذي به
الانبياء كافة ورسيل الله مع الشهداء تكلموا ، سمعة
مستغربة ، رؤية غريبة ، نار مقسومة لتوزيع المواهب .
ثم « أيها الملك إن أفواه الانبياء المستوعبة روحاً قد قدمت
تسبيحاً لحضورك بالجسد والروح غير المخلوق المساوي لك
في الابداع والعرش قد أقبل من الأحضان الأبوية للمؤمنين
تبجيلاً وإكراماً لناسوتك » . ولا يُملّ من قراءة هذه التراتيل
العظيمة التي تشيد بالأوجه المتنوعة لمواهب الروح القدس
وصفاته ولاهوته . فبالإضافة إلى الأزلية والخلق والقوة
والعرش ، ترى في الروح القدس الحياة والنور والحكمة
والصلاح والنار المطهرة والإله المؤله . . . وكذلك ترى
مساواته مع الأب والابن وانبثاقه من الأب وجوهره الواحد
والأب والابن الثالث الواحد وعدم إمكانية إدراكه . . .

« أيها الروح الكلي قدسه الصادر من الأب والآتي بالابن
على التلاميذ العديسي الكتابة خلص وقدس كل الذين
يعرفونك لها » . ثم « وان الشعاع الإلهي الكلي الضياء
والاقتدار الغير البالي المنبثق من النور الغير المولود الذي



الكنيسة يقوله : « أما المسيح قرأس الكنيسة والكنيسة جسد المسيح ، وأما الروح فهو الذي يملأ الكل في الكل »
(افسس ١ : ٢٣) .

لم يحضر الروح القدس إلى العالم ويقم فيه كأقنوم وشخص إلا بعد العنصرة . إذ أصبحت الخليقة أهلاً لاستقبال الروح ، فنزل ليملا بحضوره الكنيسة المفتداة المغتسلة والمطهرة بدم المسيح .

غير أن الروح القدس في مجيئه الشخصي هذا لا يعلن عن شخصه وأقنومه : انه يأتي باسم الابن . وذلك كما جاء الابن باسم الأب . فأقانيم الثالوث الأقدس تشهد لبعضها البعض . فالابن يشهد للأب ، وبالروح القدس نعرف يسوع المسيح رباً وقد قال يوحنا الدمشقي : « الابن صورة الأب والروح صورة الابن » . لكن الروح القدس ليس له صورته في أقنوم آخر : انه يبقى غير معلن وغير مكشوف ، ومتخفياً وراء حضوره بالذات وفي ظهوره بالذات لأن العهد القديم أظهر الأب والعهد الجديد أظهر الابن ، أما الآن فالروح القدس حاضر بجيا بيتنا مخفياً وراء حضوره .

إن المسيح وحده الطبيعة البشرية في شخصه . الطبيعة

البشرية جُددت بالمسيح وهي جسده وهو مبدأها بل هو « أقنوم » هذه الطبيعة . انها وحدة الإنسان الجديد الذي نلبسه بالمعمودية عندما نصير عضواً في جسد المسيح . فعمل المسيح إذن يتناول الطبيعة البشرية . أما الروح القدس فعمله يتناول كل إنسان على حدة . ويمنح لكل إنسان على حدة ملء اللاهوت بالطريقة الفريدة التي تناسب هذا الإنسان شخصياً . الروح القدس يتجه إلى الإنسان المخلوق على صورة الله ليعطيه إمكانية تحقيق مثال الله . المسيح يعطي أقنومه للطبيعة والروح يعطي لاهوته للأشخاص . عمل المسيح يوحد وعمل الروح القدس ينوع .

وهذان العملان لا يتفصلان و كلاهما يستحيل دون الآخر : المسيح يخلق وحدة جسده السري بواسطة الروح القدس . والروح القدس يعطي ذاته للأشخاص بواسطة المسيح . لقد أعطى المسيح الروح القدس للكنيسة مرتين ، المرة الأولى مساء القيامة عندما نفخ في الرسل مجتمعين قائلاً : « خذوا الروح القدس . من غفرتم له خطايا غُفرت ومن أمسكتم له خطايا غُفرت » (يوحنا ٢٠ : ١٩ - ٢٣) . وعندئذ أعطى الروح القدس للكنيسة كجسم ، أعطاه لمجموع الرسل مع سلطان حل الخطايا وربطها وهي

السلطة الكهنوتية ، أي أنه أعطى الروح لوظيفة لا لقداسة شخصية وأعطاه كرباط وحدة الكنيسة ، موجهاً إياه للطبيعة ، للكنيسة كجسم المسيح .

أما المرة الثانية ففي يوم العنصرة (أعمال ٢ : ١ - ٥) ، وعندئذ أرسل الروح القدس في مجيء شخصي ، كأقنوم من الثالوث الأقدس مستقل عن أقنوم المسيح ، وبشكل السنة نارية منفصلة الواحدة عن الأخرى ونازلة على كل واحد من الحاضرين ، على كل من أعضاء جسد المسيح : انه نزول للأشخاص وفي الأشخاص ، ختمت به الأشخاص بعلاقة شخصية مع الثالوث الأقدس .

وهذا النزول في الأشخاص هو سر تنازل الروح القدس وانسحاقه . في تنازل الابن ظهر شخص المسيح وبقي لاهوته مستتراً وراء « صورة العبد » . أما في تنازل الروح فيظهر اللاهوت ، لاهوت الثالوث الأقدس المشترك ، ولكن يظل شخص الروح القدس وأقنومه مستتراً وخفياً وراء اللاهوت .

ولكن بما ان سكنى الروح القدس فينا تجعلنا مسكناً للثالوث القدوس ، والروح القدس هو النار الذي تكلم عنه المسيح (لوقا ١٢ : ٤٩) ، أي اللاهوت ، لذلك لا يمكن

